



النصر من أطراف المحك

التنصير يعزروا العالم الإسلامي

أحمد عبد الله سيف الرفاعي

عندما تقارن بين المخاطر التي تشكها الحروب التي يشنها الأعداء ضد المسلمين، وبين المخاطر التي يشكها الغزو الشرقي الثقافي عليهم، فإننا نذهب إلى أن النوع الثاني أشد تدميراً وأكثر ضراوة وأعمق تأثيراً من النوع الأول، أي أنه يهدد على المسلمين من التدمير الفكري الثقافي أكثر من أن يُسحقوا مادياً تحت وطأة الجيوش والأسلحة، هذا فضلاً عن أن المسلمين يخرجون من حروبهم مع أعدائهم أشد عزماً وأقرب رجوعاً لدينهم وتمسكاً به.

وفيما يلي نتعرض لأحد معاول الهدم الخبيثة التي تحاول دائماً النيل من الإسلام ومن المسلمين، ألا وهو التنصير: أولاً، لماذا هذا منهم الإسلام؟

يستهدف المَنصُرون الإسلام - قبل أي دين آخر - لأنهم يعرفون من تاريخهم كله أنه لم يغلبهم إلا هذا الدين يوم كان يحكم الحياة، وأنهم غالبوا أمه طناً لم يحكمه أمه في حياتهم.

واقدمتُ النصراني الصليبيون عن مواجهة الإسلام، أو الاصطدام بالمسلمين؛ لأن الغلبة في النهاية تكون من نصيب المسلمين؛ فالأمة الإسلامية قد تعرض ولكنها لا تموت، وتقفو ولكنها لا تنام، والمسلمون قد يهزمون ولكنهم لا يبادون أو يسحقون، ومهما كانت الحروب معهم - أعني المسلمين - سجالاً فالغلبة لهم في النهاية متى جعلوا نصره الله نصب أعينهم وهدفهم المنشود، وما أن يُخلص المسلمون في عودتهم إلى دينهم حتى يصبحوا قوة لا تقهر، ولقد عرف النصرانيون هذه الحقيقة، وأكدها لهم لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن هزمه المسلمون شر هزيمة، وأسروه في موقعة المنصورة بمصر، ثم خرج صاغراً من أسره، وكتب وصيته الشهيرة - والتي عرفت بوصية القديس لويس - ليؤكد فيها أن المسلمين لا تهزمهم الجيوش مهما كانت، وعلى الغرب الصليبي أن يتخلى عن استخدام أسلوب الحروب المادية، وأن يستبدلها بالحروب الثقافية الفكرية، وكانت وصيته تلك بمثابة إعلان عن أن الصراع بين المسلمين والنصارى بدأ يأخذ شكلاً جديداً، فاستبدلت الحروب المادية بأخرى فكرية ثقافية، وإن لم يخلُ الأمر من صدام مادي، وقتال دموي على طول محطات التاريخ.

ثانياً، أهداف التنصير:

يسمى المخطط التنصيري إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في البلاد الإسلامية؛ فالمَنصُرون يعتبرون الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم؛ فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية؛ إن أنها جميعاً ديانات قومية لا تريد

الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في الوقت نفسه أقل من النصرانية رقيًا. أما الإسلام فهو - كما يسمونه - دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو الخطر فيه - كما يقولون - ومن هنا نجد أن للتنصير أهدافاً متنوعة، منها ما هو تقليدي، ومنها ما هو غير تقليدي، ومن هذه الأهداف ما هو ظاهر جلي، ومنها ما هو باطني خفي. بل إن للتنصير أهدافاً بالغة الخطورة على الإسلام وعلى المسلمين. ورغم ذلك يكاد أن لا يشعر بها أحد من المسلمين.

ويمكن تركيز أهداف التنصير في ثلاثة أهداف متدرجة كما يلي:

١ - إخراج المسلمين من الإسلام، والتشكيك فيه، وفي سيرة رسوله ﷺ، وتزييف مفاهيمه، وهدم عقيدته؛ يقول زويمر - أحد أقطاب التنصير -: «إن مهمة التنصير ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية (النصرانية)؛ فإن هذه هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتهم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾».

[البقرة: ١٠٩].

٢ - الصليولة دون انتشار الإسلام: فالمنصرون يشنون هجومهم على الإسلام خوفاً على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين؛ فهم يخافون الإسلام ويرددون دائماً أنه الدين الوحيد الخطر عليهم، ويفضل الغرب أن يظل يُنعت بالنصرانية على الرغم من علمانيته والحداثة، وعلى الرغم من تهميشه للكنيسة هناك. ويأتي تيشير الغرب بالنصرانية - أو ما نسميه نحن بالتنصير - مسوغاً اصطغعه ليوافقه التوسع الإسلامي، وليضفي الشرعية على هذه المواجهة، ويتقاسم مع التوسع الإسلامي أسس الهداية والإيمان. وكثيراً ما يتهم الغرب الإسلام - كذباً وزوراً - بأنه انتشر بالسيف ليجعل من ذلك مسوغاً لاستخدام السيف هو الآخر، فهو في الحقيقة لا يصف التوسع الإسلامي بقدر ما يبحث عن شرعية ضرب الشعوب بالسيف تحت ستار التبشير أو التنصير، والواقع - كما يرى الغرب - أن حالات دخول الإسلام أكثر عدداً من حالات التنصير من غير مراكز تنصيرية ومن غير ضرب الشعوب بالسيف.

ويجدر بنا أن ننبه على أن هدف التنصير يختلف من منطقة إلى أخرى؛ ففي البلاد العربية يكتفي بزراعة عقيدة المسلم وإخراجه من الإسلام، وليس مهماً أن يدخل النصرانية، أما خارج البلاد العربية فيتم تنصير المسلمين فعلاً، وليس معنى هذا أن البلاد العربية ذات حصانة ضد التنصير؛ فقد وقع فيها أعمال للتنصير آتت أكلها الخبيثة في أحيان كثيرة، وتنصّر بعض من الناس بالفعل في تلك البلدان، ولكن كان التنصير أكثر وقعاً في البلدان الإسلامية الأخرى.

٣ - التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً لسيطرة النفوذ الغربي: وتهيئة الأجواء لقبول ما يسمى بـ «العولمة» أو «الكوكبية» وما يتبع هذا النظام من توجيه الأيديولوجية السياسية العالمية، وإقامة هيكل اقتصادي جديد، وبث قيم اجتماعية عصرية، وإزالة الحواجز الثقافية، وتدويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة انتهاءً برعاية الحوارات الدينية والثقافية، بل والدعوة إلى ما يشبه الدين العالمي... إلى غير ذلك من شعارات وأهداف براقعة ينخدع بها الكثيرون؛ فإن ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه الخسران؛ إذ هي في حقيقتها تسعى لحصار المسلمين وفرض التبعية الغربية عليهم، وإقامة آليات السيطرة حولهم، واختراق الحضارة والهوية الإسلامية خاصة بعد أن غير الغرب من أساليب السيطرة العسكرية التقليدية واستبدالها بأساليب حديثة تعطي النتائج نفسها^(١).

(١) راجع مقالة «العولمة: حلقة في تطور آليات السيطرة» خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد ١٦٦.

أثرون أن التنصير والقائمين عليه سيقفون مكتوفي الأيدي أمام هذه المتغيرات الدوائية؟ لا، فإنهم سيكفون لتحقيق أهدافهم تحت مظلة تلك المتغيرات التي يعتبرونها فرصة ثمينة وساحة لبلوغ مآربهم.

إن الزمان قد دار دورته، وما اليوم من الأمس ببعيد؛ فهام أولاء المنصرون يجنون تحت مظلة العولة فرصة لرفع التنصير ونشر النصرانية كما فعلوا قديماً تحت رعاية الاستعمار العسكري الأوروبي، ومن قبله الحروب الصليبية، ثم وخرج علينا من يقول: إن الحروب الصليبية قد انتهت. لا، وألف لا، ما انتهت. راقبوا أعمال التنصير الدوائية في ديار الإسلام فسئرونها جهاراً نهاراً بسدون بندقية ولا مدفع إلا ناراً.

ثالثاً وسائل التنصير.. بين القديم والجديد:

لقد أخذت أعمال التنصير في السنوات الأخيرة اشكالاً جديدة، واخترع المنصرون وسائل حديثة لتنصير المسلمين أكثر خفاءً وأعمق تأثيراً وأشد مكرًا وخداعاً من الوسائل التقليدية المعهودة، وبدلوا لذلك جهودهم لاستحداث وسائل جديدة للتنصير، مما لا يجعل من المبالغة أن أقول: إن المنصرين استفتحوا على المسلمين كل باب، وأتوهم من طرق شتى تكاد لا تخطر على المسلمين ببال سواء كانت طرقاً ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي... أو غير ذلك. وأصبح التنصير اليوم يتكئ على هذه الوسائل الحديثة فضلاً عن القديمة، وفيما يلي تسلط الأضواء على وسائل التنصير وتوعرها مع ذكر بعض النماذج والأمثلة:

١ - استغلال الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية: وما ينتج عنها من دمار وخراب وأوضاع مأساوية في أغراض التنصير، فضلاً عن أوضاع المسلمين المأساوية من أيتام وأرامل، وما يحتاجون إليه من طعام وكسوة ومسكن بالإضافة إلى التمريض والعلاج مما يجعلهم فريسة سهلة لاستغلال المنصرين الذين يقظاهرون بعواصاتهم مادياً ومعنوياً، ويدعون الاهتمام بهم صحياً وتعليمياً، وصولاً إلى اكتساب قلوب هؤلاء المسلمين البسطاء، ومن ثم السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا، ويشترط هؤلاء المنصرون على أولئك المسلمين الذهاب إلى الكنيسة لإداء قداس/الأحد مثلاً، أو يشترطون عليهم عدم المشاركة في الأنشطة الإسلامية نظير خدماتهم تلك.

لقد بلغت تقديرات نسبة اللاجئين المسلمين ٨٠٪ من مجموع اللاجئين في العالم كله لجؤوا إلى بلدان أخرى لأسباب عديدة منها: الحروب، والكوارث، وبطش الحكومات والأنظمة المعادية للإسلام، أو خوفاً من الاضطهاد الديني والسياسي العرقي، ويعاني هؤلاء اللاجئون من تشتت الأسر وفقدان مقومات الحياة الأساسية، ولذلك فإنهم يمثلون مجالاً واسعاً وقربة خصبة لعمل الجمعيات والمنظمات التنصيرية. وفيما يلي بعض هذه الأمثلة:

• بعد الحرب الأهلية في سيراليون عام ١٩٩٦م والتي قُتل فيها أكثر من عشرة آلاف شخص، وتسببت في نزوح مليون ونصف مليون شخص من منازلهم، قال «كرسين كول» أحد قادة منظمة الإغاثة - World Relief Corporation: «إن الأبواب مفتوحة أمامنا لتنصير هؤلاء المسلمين».

• منظمة «الرؤيا العالمية» التي لها نشاط في أكثر من ٨٠ دولة وتشرف على ٨٦ ألف لاجئ مسلم صومالي توفر لهم الدواء والكساء والتعليم، وتدعوهم إلى النصرانية؛ علماً بأن نسبة المسلمين في الصومال ١٠٠٪، وفي الصومال أيضاً كان الهدف الحقيقي للمشروع الألماني الوطني لمحاربة أمراض العمى هو نشر النصرانية والدعوة لها، وهذا ما اعترف به مسؤول المشروع د. جي ميشيل بعد إسلامه.

نماذج من الخدمات التي تقدم للمنصرين في أمريكا:

هناك أكثر من ٦٠٠ مدرسة متخصصة في الولايات المتحدة الأمريكية بتدريس أبناء المنصرين الذين يعيشون في إفريقيا وآسيا وغيرها Missionary Kids Schools .

هناك شركات كثيرة متخصصة في نقل الإجازات القسس والمنصرين إلى أي مكان في العالم بسعر زهيد. هناك شركات متخصصة في توفير السكن للقسس والمنصرين خلال الإجازة التي يقضونها في الولايات المتحدة كل ٧ سنوات.

هناك شركات متخصصة في التأمين على السيارات للقسس والمنصرين الذين يقضون هذه الإجازات بسعر زهيد مقارنة بالشركات التي تطلب مبالغ كبيرة عندما لا يكون الشخص ذا خبرة في قيادة السيارة في أمريكا خلال السنوات التي قضاها في إفريقيا وآسيا أو تفرض الشركات التأمين عليهم؛ لأنهم يشكلون خطراً كبيراً في القيادة.

هناك شركات لتزويد القسس والمنصرين بالمعدات التي لا تحتاج إلى كهرباء مثل الثلاجات وغيرها التي تعمل بطاقة بديلة مثل الكيروسين، أو حركة للسي دي للمسجلات... إلخ.

هناك مستشفيات نفسية خاصة لعلاج القسس والمنصرين الذين يحتاجون للعلاج النفسي سواء في الميدان أو في شمال أمريكا.

هناك شركات متخصصة في عمل برنامج توفير مالي للمنصرين، يشارك فيه المنصر والمؤسسة التي أرسلته حتى تضمن له حياة كريمة بعد التقاعد، وشركات أخرى تهتم بتوفير مبالغ لتعليم أولاد المنصرين.

هناك شركات لتدريب المنصرين على كيفية التصرف في الأزمات مثل الانقلابات العسكرية، الاضطرابات الأمنية، هجوم إرهابي... إلخ.

- بالبياني -

• كما ان هناك حركة تنصيرية قوية يشارك فيها البروتستانت والكاثوليك وسط قبائل الطوارق في شمالي نيجيريا ومالي في وقت قتل الجفاف ماشيتهم، وضربت المجاعة مناطقهم، ومات منهم المئات بسبب الفقر والجوع والمرض.

• في البوسنة وزعت الإرساليات التنصيرية ٧٠٠ ألف كتاب تنصيري، كما وزعت عدة آلاف من قصص الإنجيل على أطفال العراق مع مجموعة من الأشرطة السمعية مستغلة الحصار الدولي عليه.

٢ - استخدام التكنولوجيا الحديثة في التنصير والدعاية له: كماستخدم البريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت، وبلغ عدد أجهزة الكمبيوتر المستخدمة لخدمة التنصير (٢٠٦٩٦١٠٠٠) جهاز عام ١٩٩٦م.

ولقد قامت شركة مايكروسوفت لبرامج الكمبيوتر العالمية بتزويد المؤسسات التنصيرية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام ١٩٩٣م.

وقام القس الأمريكي المشهور «بيلي جراهام» - صاحب معهد خاص بتنصير المسلمين - بحملة صليبية تهدف للوصول إلى ٤٠٠ مليون شخص في ٥٠٠ مدينة، عن طريق الأقمار الصناعية عبر ١٦ قرصاً للأقمار الصناعية إلى ١٧٠ دولة. وهذه هي أكبر عملية لنشر النصرانية تستخدم فيها التكنولوجيا الحديثة بهذا الزخم.

دعت الكنيسة في إنجلترا أتباعها إلى أداء الصلاة على الإنترنت، وفتحت الكنيسة موقعاً على الشبكة تبين من خلاله كيفية أداء الصلاة بشكل بسيط، وربطت الكنيسة في الموقع نفسه بين الالتزام بالصلاة وبين التمسك بالريجينم الغذائي أو المواظبة على العناية بحديقة المنزل.

٣ - بناء الكنائس والمراكز التنصيرية بشراهة زائدة

مفرطة:

• كانت هناك كنيسة وحيدة في العاصمة «ياماكو» بعالي، حيث لا يوجد إلا ٢٪ من السكان من النصارى، إلا أنه الآن وبسبب النمو الكبير في حركة التنصير تم بناء ٣٢ كنيسة في العاصمة وحدها.

• وفي غانا شُيِّدت ٦٠٠ كنيسة جديدة خلال عام واحد ١٩٩٣م (صدق أو لا تصدق).

٤ - التنصير بالبريد: انتشرت هذه الظاهرة في بعض البلدان العربية كـ (مصر) فكثيراً ما يصل إلى أحد المسلمين رسالة من مصدر مجهول داخل مصر - أو خارجها - تتضمن رسالة تنصيرية واحدة، ويمكن الربط بين هذه الظاهرة الرديئة وبين نعي الوفاة الذي ينشر في الجرائد مشفوعاً بالعنوان البريدي لإرسال بركات العزاء. وعلى أي حال يبقى سؤال لا بد من طرحه وهو: إذا كان بعض الناس يتحدث الآن عن مراقبة البريد لعرقلة «الإرهابيين» المزعومين، فلماذا لا يراقبون بريد هؤلاء التنصيريين...؟

٥ - التخصصية الفائقة الدقة في التنصير: تُشكّل الجمعيات التنصيرية لتتخصص في تنصير قبيلة في أدغال إفريقيا، أو أخرى في أوساط آسيا، أو لتنصير عرقية محددة في أقصى سيبيريا، ولذلك تراهم يترجمون الإنجيل خصيصاً بلغة تلك القبيلة أو العرقية، ويطبعون الكتب التنصيرية لنشرها بينها، وتقام دورات للمنصرين لتعلم لغات تلك القبائل وعاداتها وأيديولوجياتها وفيما يلي بعض الأمثلة:

• ترجمت إرسالية طائفة اليونانيت - مقرها الولايات المتحدة - الإنجيل خصيصاً لتنصير أبناء قبيلة «الولوف» السنغالية المسلمة.

• تبث الإذاعات التنصيرية - أو حتى برامج في إذاعات أخرى - بلغة قبائل معينة، وهذا ما فعلته محطة إذاعة «حول العالم» التنصيرية التي تبث برامج خاصة بلغتي قبائل «لوموا» و «ماكوا» الإفريقيتين.

• إرسالات منظمة Great Cammossion Center (إحدى المنظمات التنصيرية بالولايات المتحدة) عشرين منصرماً إلى مسامي إقليم «توانغ غان» في غرغيزستان في الصين؛ حيث يبلغ تعداد المسلمين هناك نحو (٣٠٠) ألف مسلم؛ فكم جمعية عند المسلمين تخصصت لنشر الإسلام الصحيح بين المسلمين في الصين؟!.

• تم ترجمة الإنجيل باللغة الألبانية - لأول مرة - بجهود الإرسالية المسيحية الأوروبية (E.C.M) وتم إهداء النسخة الأولى منها للرئيس الألباني.

• تمت ترجمة الإنجيل كاملاً إلى لغة «المانيكاء» وهي قبيلة مسلمة ١٠٠٪ في غامبيا.

• تأسست جمعية متخصصة للمهتمين بتنصير العرب سنة ١٩٩٥م شارك في تأسيسها منصرون من (إسرائيل) والشرق الأوسط ومصر واليمن وعدة دول عربية أخرى، كما شاركت فيها إرسالية (تنصير العالم العربي) وجمعية «الرسالة التنصيرية» ولجنة مؤتمر لوزان بسويسرا وغيرها.

• كما توجد «إرسالية أوروبا الكبرى» في إيلينوي بالولايات المتحدة Greater Europe متخصصة لتنصير المهاجرين المسلمين في دول الغرب.

٦ - استفلال المناصب السياسية والإعلامية لخدمة التنصير: فرغم أن الكنيسة ما تزال ترفع شعار الابتعاد تماماً عن السياسة إلا أنها تدفع بالرهبان والقسس لتقلد المناصب السياسية ليتسنى لهم من خلالها خدمة التنصير؛ ففي خمس دول إفريقية هي: توغو، بنين، الكونغو، الغابون، زائير يترأس المجالس النيابية في هذه البلاد قسس ورهبان.

• حكّم (جالديوس نيري) - وهو قس سابق متعصب - تنزانيا (٧٥٪ مسلمين) لمدة ٢٦ سنة حشد خلالها كل

أجهزة الدولة ضد الإسلام، وحرّم المسلمين من حقّ التعليم والمناصب الإدارية وممارسة شعائر دينهم، بل من حقّ المواطنة، في حين قدم التسهيلات والتشجيعات للكنيسة ورجالها، ولم تخلُ خطاباته خلال حكمه من التذكير بأنه نصراني يفخر بذلك (حتى في خطابه في جامعة القاهرة في إبريل ١٩٧٦م)، ومثله الرئيس النسراني المتشدد (دانيل أراب موي) رئيس كينيا السابق.

● ولا يفوتنا هنا أن نذكر الدور البارز الذي قام به مجلس الكنائس العالمي في إدارة حرب الجنوب في السودان - علماً بأن عدد النصارى هناك لا يتجاوز ٧٪ من تعداد السكان في الجنوب - كما أن العميل جون جارنج قائد التمرد هناك كان يتخذ الكنائس مقراً وقاعدة للانطلاق.

٧ - منح الجوائز التشجيعية العالمية أو شبه العالمية لمن كان لهم دور بارز في خدمة قضايا التنصير أو حتى في قضايا ضد الإسلام.

فلقد منحت لجنة جائزة «اوناسيس» (الجائزة الكبرى) وقدرها ٢٥٠ ألف دولار أمريكي للارثوذكسي بيلرس غالي - سكرتير عام الأمم المتحدة سابقاً - نتيجة جهوده في التفاهم الدولي والتمييز الجماعي، ويقصدون دوره الكبير في مشكلة البوسنة والهرسك، وقد أعلن عن تلك الجائزة مباشرة بعد سقوط الجيب الآمن الذي اعلنته الأمم المتحدة في سرينيتشا في البوسنة وقد قتل عدة آلاف من المسلمين العزل هناك.

● اختارت جمعية كنائس (ماترا) في فلندا الأسقف «باريد نابان» أسقف مدينة (توريت) في جنوب السودان لجائزة (السلام) التي تمنحها عادة لأولئك الذين يبذلون جهوداً كبيرة في هذا الميدان.

٨ - الزيارات المتكررة والمكلفة التي يقوم بها كبار دعاة النصرانية وكبار المنصرين على المستوى الدولي لكثير من الدول خاصة المستهدفة بالتنصير.

● لقد قام البابا يوحنا بولس الثاني في الفترة من ١٩٨٠/٢/٥م وحتى ١٩٩٥/٩/٢٠م بست وأربعين زيارة لأربعين دولة إفريقية، وبالمقارنة لا نجد أحداً من الباباوات زاروا إفريقيا بهذا القدر الهائل من الزيارات كما فعل البابا

عدد المنصرين الأمريكان الكاثوليك	السنة	إحصائية بالمنصرين الكاثوليك من الولايات المتحدة إلى الخارج
٦٧٨٢	١٩٦٠	(●) نقلاً عن : كتاب لحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميذ.
٧١٤٦	١٩٦٤	
٩٦٥٥	١٩٦٨	
٧٦٥٦	١٩٧٢	
٧٠١٠	١٩٧٦	
٦٦٠١	١٩٨٠	
٦٣٩٣	١٩٨٤	
٦٢٤٦	١٩٨٨	
٦٠٣٧	١٩٩٢	
٦٠٦٣	١٩٩٦	

- بالبيك -

يوجد هذا، وتعكس هذه الزيارات ذات الطابع الرسمي مجالات أوسع للتصوير وتفتح كذلك مجالات أرحب للمنصرين لترويج دعاياتهم المخللة والمزيفة. كما ستضفي على العملية التنصيرية الصفة الرسمية بسبب ما يصاحبها من مشاركة حكومية، وهذا يكسبها بعض المواقع الهامة والجولات التنافسية، ولكن يبقى لنا أن نسأل: لماذا يهتم البابا بإفريقيا بالذات، كل هذا الاهتمام؟

إنه الإفلاس العقائدي للنصرانية في أوروبا، وروح الصليبية التي لم تمت في نفوسهم، وكراهية الإسلام فضلاً عن مراقبة أعمال المنصرين ودعمها في إفريقيا - كما قدمنا - كل هذا كان السبب في هذا الاهتمام.

ولا يخفى علينا زيارة البابا يوحنا بولس للبنان سنة ١٩٩٧م وما كان لها من أثر ومغزى عميقين، وما تلاها من زيارات أخرى للمنطقة.

أضف إلى ذلك زيارات سفراء الدول العظمى المتكررة لمواقع عمل ومكاتب المؤسسات (الخيرية) التنصيرية. افتتحت الأم تريزا أربع مدارس تنصيرية أثناء زيارتها لمصر فضلاً عن رعايتها لكثير من الاجتماعات والاحتفالات «القدسة».

٩ - ادعاء حدوث كثير من المعجزات والخوارق على أيدي كثير من المنصرين وإيهام البلهاء بأنها حقيقة: ومثال ذلك:

● في فبراير ١٩٩٢م زار أحد المنصرين الأمريكيين عدة دول إفريقية، ودعمته الكنائس هناك، وكان يزعم أنه يحيي معجزات المسيح، وأبث مدة شهر كامل أسفرت عن تنصير قرابة ٢٠٠ مسلم، ولقد شاء الله أن يفتضح أمره؛ إذ كان يستأجر بعض الأشخاص نظير مبلغ من المال لتمثيل دور المريض المقعد أو الكفيف الذي يُشفى بعد إيمانه المزعوم بالمسيح.

١٠ - التنصير والسيئما:

بدأ عرض الأفلام التنصيرية في القرى الإفريقية في كينيا، ووصل عدد المسلمين الذين حضروا بعض هذه العروض ٢٠٠٠ مسلم، أي ٦٥ مسلماً منهم استعدادهم للتحويل إلى النصرانية، وما أسرع ما كانت متابعة المنصرين لهم وتقديم العون والمساعدات لهم.

● وفي إحدى السنوات بعرض القاهرة الدولي للكتاب بيعت أفلام تنصيرية كثيرة كـ فيلم يسوع Jesus الذي صور حياة المسيح ومعجزاته، وغيره من الأفلام على شاكلته بيعت بأرخص الأثمان.

● وافق بابا الفاتيكان على الظهور لأول مرة في فيلم غنائي أطلق عليه: «الرجل الذي جاء من بعيد».

● أنتجت الكنيسة البروتستانتية في أمريكا فيلماً عن حياة المسيح من وجهة نظر الكنيسة بتكلفة عدة ملايين من الدولارات، ولقد شاهد الفيلم ٥٠٣ مليون شخص منهم ٣٣ مليون قرروا الالتزام بالبادئ العامة للنصرانية. وتم عرض الفيلم في ١٩٧ دولة واستفادت منه ٣٨٠ منظمة تنصيرية عرضته ضمن برامج دعوتها، والفيلم موجود بـ ٢٤١ لغة مختلفة، ويتم ترجمته حالياً إلى أكثر من ١٠٠ لغة أخرى، ويقوم بالإشراف على عرضه ٣٢٠ فريق عرض.

١١ - توطئ النصراني في مناطق الأقلية المسلمة، وتشجيعهم على ذلك لتغيير الصبغة الإسلامية لتلك المناطق، والأمن في ذلك كثيرة:

● تم توطئ النصراني القادمين من روسيا في تراقيا الغربية ذات الأغلبية المسلمة في اليونان.

توزيع الأناجيل في العالم

ازدادت كمية الأناجيل الموزعة على المستوى العالمي إلى رقم جديد لم يسبق الوصول إليه في الماضي، حيث بلغت النسبة ١٤٠٪ مما كانت عليه في العام الماضي وهذه الإحصائيات تشمل ما تم توزيعه عن طريق جمعيات الإنجيل المتحدة فقط كما هو مبين أدناه:

إفريقيا: ٤,٢٠٨,٥٦٨ إنجيل.

آسيا: ٢٥,٦٩٧,٦١١ إنجيل.

الشرق الأوسط وأوروبا:

٧,٢٨٢,٥٨١ إنجيل.

الأمريكتان: ١٥,٧٦٣,٠٦٢ إنجيل.

وقد سمحت الصين لطباعة اميتي

في نيانجنج بطباعة ١٥ مليون نسخة

نقلًا عن التقرير العالمي لجمعيات

الإنجيل المتحدة ١٩٧٧م.

٤٠٠٠ وكالة تنصيرية

والعمل التنصيري الخارجي هو أهم ما يشغل الكنائس المنتلمة هذه الأيام. ففي الوقت الحاضر هناك ٤٠٠٠ وكالة تنصيرية (أي منظمات تعمل خصيصاً في حقل التنصير) يعمل بها ٢٦٢,٣٠٠ منصرف متفرغ، وهم يكلفون الكنائس ٨ بلايين دولار سنوياً، وكل سنة يصدر ١٠٠٠٠ كتاب ويبحث جديد حول التنصير الخارجي.

- باليه -

● أجبر المسلمون البوسنيون على الهجرة من أراضيهم ليحل محلهم الصرب الأرثوذكس أو الكروات الكاثوليك، وبلغ عدد هؤلاء المسلمين المهجرين مليوناً و ٧٣٠ ألف مسلم حتى منتصف عام ١٩٩٥م، وتكرر الأمر مرة أخرى مع مسلمي كوسوفا.

● ويحدث مثل ذلك أيضاً في أقاليم غرب الصين، حيث الأغلبية المسلمة، إذ بلغ عدد المسلمين في الصين ٩٣ مليون مسلم يمثلون ١٠٪ من مجموع السكان، ويُعتبرون أكبر أقلية مسلمة في العالم، وقامت الحكومة الصينية بتهجير المسلمين من إقليم «نيتششيا» ذي الأغلبية المسلمة وتوطين قرابة مليون شخص من غير المسلمين هناك، كما قامت بنقل ١.٣ مليون شخص من غير المسلمين إلى تركستان الشرقية، وهذا كله سيخل بالتركيبة السكانية، وسيجعل الأقلية المسلمة تنوب وتندثر في أوساط غير المسلمين.

● نقل رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية الصربية مقر إقامته من بلجراد إلى كوسوفا إبان حملات الناتو ليقنع الصرب بالبقاء والمقاومة.

١٢ - طباعة الشيكات وإعلانات الدعاية وأوراق المعاملات الرسمية وغيرها من قبل كثير من الشركات والمؤسسات المالية، وعليها صور نصرانية في خلفيتها، كما أنها قد تحتوي في جوانبها على كلمات من الإنجيل، وانتشرت ظاهرة: «الشركات المتخفية»، و «شيكات يحترمها الرب» في بعض دول العالم بل وفي بعض الدول الإسلامية بهدف جذب أموال المستثمرين المتعصبين للصرافية، إلى جانب دعاوى إجلال البركة على الأموال - على حد زعمهم - فضلاً عن نشر النصرانية بين الموظفين والعملاء الذين تمر عليهم تلك الأوراق. والجدير بالذكر أن هذه الأعمال وتلك الشركات تؤيدها الكنائس وتُشجّع من قبل الاتجاهات السياسية اليمينية.

١٣ - الابتعاد عن استخدام العبارات المثيرة ضد المسلمين؛ وذلك بإلغاء الكلمات التي ارتبطت بأذهانهم بالاستعمار أو نحوه، فمن تلك العبارات الشهيرة التي عادة ما كان يستخدمها المنصرون: «مليار مسلم سيذهبون إلى الجحيم ما لم يتم تنصيرهم» ومن الكلمات الملقاة كلمة «المنصرون»، وليس الأمر عند هذا الحد، بل إن القائمين على التنصير كثيراً ما يستخدمون أسماء وعبارات تروق للمسلمين خداعاً وتضليلاً؛ فإحدى البرامج بإحدى الإذاعات التنصيرية اسمه «نور على نور» والقائم عليه اسمه «الشيخ عبد الله» وإحدى المستشفيات في نيروبي تسمى بـ «اسم الله» وتسمية الكنائس «بيوت الله» وأنها تقام ليذكر فيها «اسم الله».

١٤ - إحداهن ليس لدى فكر المسلمين وعقائدهم وإثارة الشبهات لديهم:

في سبيل ذلك يقدم المنصرون بعض التنازلات - إن صح التعبير - ويتظاهرون بالتودد والتشبه والتزلف للإسلام والمسلمين، فلقد وجد المنصرون أنه من الصعب على إنسان ظالم يعتقد ديناً يعتقد أن فيه خلاصه وصلاحه في الدنيا والآخرة أن يتركه إلى بين آخر يختلف عن دينه الأول، ويكون الأمر أكثر صعوبة لو كان هذا الإنسان هو المسلم ويراد له أن ينتقل عن إسلامه إلى النصرانية، والفرق بين الإسلام والنصرانية شاسع البعد، ولذا فإنهم يأخذون بأيدي المسلمين يهدون خطوة خطوة إلى النصرانية، فيخلطون ثبات المسلم وتمسكه بدينه شيئاً شيئاً حتى ينتهي به المآل إلى الشك واللبس في الإسلام، أو الإعجاب والحب بالنصرانية - إن لم يعتقد المسلم - ولو لم يكن لهذه السياسة الماكرة الخبيثة من خطر إلا إثارة الشبهات لدى المسلمين لكفى، وهذه السياسة لا تنطلي إلا على السذج والبسطاء من المسلمين، بل إن إثارة الشكوك لدى المسلم وإبعاده عن دينه يعتبر في حد ذاته هدفاً يسعى إليه المنصرون. ويقفون عنده، ويخطفون به دون أن يسعوا إلى تنصير المسلم أو حتى ترغيبه في النصرانية، فهم يرون في أحيان كثيرة أن اعتناق المسلم النصرانية شرف عظيم لا يستحقه المسلم.

ولعل الأمثلة الآتية توضح بعض ما قلناه آنفاً:

• نشرت بعض المنظمات التنصيرية الإنجيل باللغة العربية في عدد من الدول الإفريقية وقد كتب بطريقة «تشبه» القرآن الكريم، وفيه بعض الزخارف، ويبدأ كل فصل منه بكلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» وتشكل الكلمات بحركات التشكيل، كما حرصوا على اختيار كلمات قرآنية كثيرة في داخل الترجمة مثل (قل يا عبادي الذين هم لربهم ينتظرون. اعدوا في «بياه» واحذروهم كما يحذر الخدم ساعة يرجع مولاهم فما هم بنائمين. قال الحواريين أريدنا مولانا بهذا أم يريد الناس أجمعين؟ فضرب لهم عيسى مثلاً...) «لاحظ الأخطاء النحوية فيما سبق».

إن قيام المنصرين بكتابة الإنجيل بطريقة تحاكي القرآن - كما يزعمون - لهُوَ اعتراف منهم بالإخفاق الذريع، وبيان الإنجيل بعد تحريفه وتبديله لم يعد قادراً على هداية أتباعه فضلاً عن أعدائه.

• وكذلك قراءة الإنجيل بطريقة «تشبه» تلاوة القرآن الكريم.

• إقامة القداس الأسبوعي يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد، وهذا فعلوه في الكويت، بل إقامته بطريقة «تشبه» صلاة المسلمين في حركاتها.

• آداب المنصرين بلذية الدعاة والمشايخ كما حدث في بلدان إفريقية كثيرة.

• بناء الكنائس الجديدة بتصاميم تشبه المساجد فتقام لها قبة وما يشبه المئذنة.

• اللواتي على بعض المبادئ والشعائر الإسلامية التي من العسير جداً أن يتركها من يدعونهم إلى النصرانية، مثل مبدأ تعدد الزوجات، فقد وجدوا أن بعض القبائل الإفريقية قد يجمع الرجل فيها بين أكثر من زوجة وزوجتين، ويصعب على مثل هذا الرجل أن يتخلى عنهن ويقتصر على واحدة إن هو تنصر، ويغفل المنصرون أن يدخل هذا الرجل في النصرانية ويقتل متزوجاً بأكثر من واحدة من أن يبقى على إسلامه، وربما في مرحلة لاحقة يقنعونه بالتنازل عنهن ويخاف من بيتهن واحدة، ومثل ذلك أيضاً موافقتهم على الختان.

• هذا وقد مر بنا من قبل أن المنصرين يقلعون عن العبارات المثيرة لسخط المسلمين ويستبدلون بها بخيرها مما تروق للمسلمين وتقال استحسانهم.

١٥ - وعلى خط مواز لإثارة الشبهات لدى المسلمين وتحبيب النصرانية إليهم فإننا نرى المنصرين دأبوا على تشويه صورة الإسلام ورموزه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فكثيراً ما يلصقون بالإسلام تهماً كالهمجية والرجعية والإرهاب. وهاكم الأمثلة:

● ذكرت الكنيسة الهولندية في تقرير مشهور لها تم توزيعه على نطاق واسع «أن الإسلام دين كاذب - False Religion وانه خطر على العالم».

● نشرت إحدى المنظمات التنصيرية صوراً لمسجد يصلي فيه المسلمون كتب تحتها: «من أوكار الإرهاب».

● قيام الحملات الإعلامية والدعايات التلفزيونية لحرب المراكز الإسلامية العاملة في تلك الدول واتهامها بالعمالة لدول معادية، أو بالتخطيط للقيام بحرب دينية أو نحو ذلك، وهذا ما حدث ضد مركز الدعوة الإسلامي العالمي الذي كان يترأسه فضيلة الشيخ أحمد ديدات - رحمه الله -

١٦ - استغلال الأدب في التنصير وهذا ما يسمى بالأدب التنصيري:

استغل التنصير ودعائه مجال الثقافة والأدب وسيلة لنشر أفكارهم الشائكة وبث سموهم بين المسلمين، فلم ينته الأمر بهذا المخطط الآثم إلى الاعتماد على التعليم والخدمات الاجتماعية والسليبية والوسائل التقليدية لتفسير المسلمين وزعزعة العقيدة في نفوسهم؛ بل سعى لاستغلال الأدب والثقافة حتى تتسع دائرة نشاطه ويصل إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين، فقد قام المنصرون بتأليف الكتب والقصص والروايات التي تدعم نشاطهم حتى اشتهر في عالم الأدب ما عرف بـ (الأدب التنصيري) وهو يتمثل في ألوان الأدب المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة وخاطرة ونحوس سينمائية، وكلها تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتفكير من الإسلام.

ولم يكن الأدب التنصيري يسير وحده؛ فقد نسق مع جهات أخرى كثيرة تشارك معه في المسلحة والهدف وركز على منهج التربية والتعليم في البلدان التي وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة سياسياً وعسكرياً وفكرياً.

ولم يقع الأدب التنصيري في السذاجة والسطحية، بل استخدم الإمكانات الفنية المتاحة له والمجربة في بلاده بدهاء وحنكة بالغين، فمزج السم بالدم، ولجا إلى التلميح بدلاً من التصريح، واستخدم الرمز والوان الإثارة والتشويق، ونأى بجانبه عن السرد الأجوف والتعبير المباشر الممل، ووظف الإيحاءات توظيفاً مكرراً، ورسم حركة الحياة والأفراد وأنماط السلوك رسماً يتفق ومعتقداته ويبعد بها عن النماذج الإسلامية.

والواقع أن القصة كانت المجال الخصب للدعوات التنصيرية في كل مكان، وهذه الروايات التنصيرية في عمومها تتخذ منهاجاً خاصاً، يمكن إيجازه فيما يلي:

١ - تصوير القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة، يخوضون الأخطار دون خوف، ويؤمنون بجمال الملامح

وجلال المظهر وتالق الثياب وحسن السمات.

٢ - يتصف (رجل الله) - كما يسمونه - بالصبر والحلم وتقديم التضحيات دون مقابل.

٣ - يعتمد الكتاب التنصيريون أساساً إلى البساطة في الأسلوب مهما كان المعنى عميقاً وتجنب التعقيد والغوض.

٤ - تشويه صورة الإسلام بطريقة غير مباشرة وإظهاره بمظهر الانحراف.

٥ - الحرص على الحفاظ على القيم الجمالية للشكل الفني، لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يتحقق الهدف وينجح

المخطط الموضوع.

والحركة التنصيرية حركة معادية للإسلام تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح تخطط له وترصد له الإمكانيات المادية الكافية، وتهتم بترجمته إلى عديد من اللغات حتى يؤدي أكله في كثير من مناطق العالم الإسلامي، وتكفل بحملات إعلان عنه، وتوعز إلى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم، وترصد له الجوائز العالمية الكبيرة، وتجعل منه مصدراً لأعمال سينمائية وتلفزيونية ومسرحية، وتستنهض هم كبار الكتاب المشاركة فيه وتنعم عليهم برفع الأوسمة وتعرض أعمالهم بأسعار رمزية وبشتى الوسائل.

والأدب التنصيري الغربي ليس في الحقيقة مجرد تبيان لمحاسن أخلاق التنصيريين والقساوسة والرهبان فحسب، ولكن هناك ما هو أخطر من هذا التصور؛ إذ يهدف هذا الأدب إلى أمرين خطيرين هما:

- ١ - تشويه سمعة الإسلام والنيل منه، وتوهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العديدي والسلوكي.
 - ٢ - التهديد بالفاهيم غريبة أشد التصافاً بالاتجاه الديني النصراني، ولعل هذا يفسر السلوك الغربي المنافي لعقيدتنا في السهرات والاختلاط، وتجاهل القيام بالفرائض، والتخلي عن السنن والآداب الإسلامية.
- وقديماً كتب كل من (إسكندر دوين) و (بريدو) و (روسو) و (فولتير) قصصاً تنصيرية أوسعوا الإسلام وأشبعوه فيها سباً وإذقاً، ولندمع ما قاله توفيق الحكيم عن مسرحية (محمد) (*) التي كتبها (فولتير) حيث قال: «قرأت قصة فولتير التمثيلية (محمد) (*) فخلجت أن يكون كاتبها معدوداً من أصحاب الفكر الحر؛ فقد سبّ فيها النبي ﷺ سباً قبيحاً عجبت له، وما أدركت له علة؛ لكن عجبني لم يطل؛ فقد رأيتني يهديها إلى البابا (بنوا) الرابع عشر».
- ويضيف توفيق الحكيم: «لقد قرأت فيما بعد ردّ البابا على فولتير فالفيتة ردّاً رقيقاً كئيباً لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين، وكله حديث في الأدب».

نشرت المجلة الدولية للبحوث الأثرية الأمريكية International Bulletin of Missionary Research

بعض الأرقام عن النشاط التنصيري لعام ١٩٩٠م:

- عدد المنظمات العاملة: ٢١٠٠٠ منظمة.
- عدد المعاهد التي تبعث بمنصرين: ٣٩٧٠ منظمة.
- عدد المعاهد التنصيرية: ٩٩٢٠٠ معهد.
- عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٣,٩٢٣,٠٠٠ منصر.
- عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٢٨٥,٢٥٠ منصر.
- عدد المجلات والدوريات التنصيرية: ٢٣,٨٠٠ مجلة دورية.
- عدد نسخ الإنجيل والمعهد الجديد: ١٢٩ مليون نسخة.
- التبرع المكتسبة: ١٥٧ مليون دولار.
- أنواع الكتيبات الجديدة: ٦٥,٦٠٠ كتيب.
- عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٢١٦٠ محطة.

(*) يقول: صلى الله عليه وسلم.

- عدد المستمعين والمشاهدين شهرياً: ١,٣٦٩,٦٢٠,٦٠٠ شخص.
- ونشرت المجلة نفسها إحصائية أخرى لأعمال التنصير لعام ١٩٩٦م جاء فيها:
- عدد المنظمات العاملة: ٤٥٠٠ منظمة.
- عدد المنظمات التي تبعث بمنصرين: ٢٣٢٠٠ منظمة.
- عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٤٦٣٥٥٠٠ منصر.
- عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٣٩٨٠٠٠ منصر.
- التبرع للكنيسة: ١٩٣ بليون دولار.
- عدد أجهزة الكمبيوتر في خدمة التنصير: ٢٠٦٩٦١٠٠٠ جهاز.
- أنواع المجلات والدوريات التنصيرية: ٣٠١٠٠ مجلة دورية.
- عدد نسخ الأناجيل والعهد الجديد: ١٧٨٣١٧٠٠٠ نسخة.
- عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٣٢٠٠ محطة.

المراجع:

- ١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الدكتور: وليد الخالدي، والدكتور: عمر فرؤخ؟.
- ٢- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي.
- ٣- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد.
- ٤- إصدارات لجنة مسلمي إفريقيا (تصدر في الكويت - الأمين العام د. عبد الرحمن السميطة).
- مجلة «الكوثر» الأعداد: ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.
- مجلة «أخبار اللجنة» الأعداد: ١، ١٨، ١٩، ٢٠.
- مجلة «الدراسات» العدد الأول.
- ٥- مجلة الوعي الإسلامي (الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت) الأعداد: ٣٥٠، ٣٤١، ٣٧٨.
- ٦- مجلة الرابطة: (الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بجدة) العدد: ٣٦٨.
- ٧- مجلة التوحيد: (الصادرة عن جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر) العدد: ٤ السنة ٢٧.
- ٨- مجلة المختار الإسلامي: الأعداد: ١٣٠، ١٣٣، ١٧١.
- ٩- جريدة المسلمون: ٥٧٤، ٦٥٩.
- ١٠- جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٣/٨/١٩٩٧م.
- ١١- جريدة الأهرام بتاريخ: ١، ١١، ٢٨، ٥/١٩٩٧م، ١١، ١٤، ٩/١٩٩٧م، ١٣/١٢/١٩٩٧م، ١٣/٢/١٩٩٨م، ٣/٣/١٩٩٨م، ١٣/١٢/١٩٩٨م، ٣/٣/١٩٩٩م، ١٠، ٩/٥/١٩٩٩م.
- ١٢- جريدة وطني (لسان حال الأقباط بمصر)، الأعداد: ١٨٣٧ - ١٨٦٠.
- ١٣- يوميات ألماني مسلم، د. مراد فريد هوفمان: (ترجمة عباس رشدي العماري).